منهج ابن عبد البر الأندلسيّ في الاستدلال بالحديث النّبويّ في علم الأدب من خلال كتابه بهجة المجالس

دراسة نظريّة تطبيقيّة

Ibn Abd al-Bir al-Andalusi's approach to prophetic discourse in literature through his book Bahjate al-Majales _ Applied Theoretical Study _.

أ. أسامة بجادي ♥

أ. علي خضرة ♥

تاريخ الاستلام:13-04-2020 تاريخ القبـول: 21-12-2021

ملخّص: إنّ كتاب بهجة المجالس من أفضل الكتب التي هي أُلفة في الأدب والوعظ والتّرغيب والتّرهيب، وكان مؤلّفها من أكبر المحدثين، ولكن هناك مشكلة تقع للباحثين في الأدب في كيفيّة توظيف الأحاديث النّبويّة في الأدب فجاءت هذه الدّراسة لتتناول منهج المؤلّف الإمام ابن عبد البر الأندلسي في الاستدلال بالأحاديث النّبويّة في كتابه بهجة المجالس، حتى يستفيد منها القارئ من طريقة المحدثين المتقدّمين في كيفيّة الاستدلال بالأحاديث النّبويّة في الأدب

♥جامعة الشّهيد حمة لخضر الوادي الجزائر، الإلكتروني: oussama-badjadi@univ-eloued.dz(المؤلّف المرسل).

♥جامعة الشّهيد حمة لخضر، الوادي، الجزائر، البريد الإلكتروني: Khedourah-ali@univ-eloued.dz

والوعظ والإرشاد، كما عملت الدّراسة على مقارنة منهج الإمام في كتابه بهجة المجالس والتّمهيد، وقد تبين من خلال الدّراسة أنّه لا تجب صحّة الحديث عند الكلام على الأدب والتّرغيب والتّرهيب والفكاهة، كما ظهر أنّه لا يتهاون في حديث شديد الضّعف، وأنّه فرّق بين طريقة اختياره للأحاديث في بهجة المجالس على كتبه العلميّة الخاصّة مثل التّمهيد.

كلمات مفتاحيّة: بهجة المجالس؛ منهج؛ الحديث النّبوي؛ الأدب؛ استدلال.

Abstract: The book "Bahjat al-Majalis" is one of the most well-established books in literature, preaching invitation and intimidation. Besides, its author was one of the greatest scholars of hadeeth.The study also compares the Imam's approach used in "Bahjat al-Majalis" which is targeted at common people, with his approach adopted for inferring the hadiths of the Prophet in his books, "Al-Tamheed" which is addressed to students of knowledge and scholars. The study reveals that it is not obligatory to strictly mind the criterion of authenticity when speaking of literature, invitation and intimidation, and humor, just as very weak hadeeths should not be capitalized on. In addition it turned out that Imam Ibn Abd al-Barr distinguished between the way he chose the hadiths in "Bahjat al-Majalis"

Keywords: Abd al-Barr; distinguished; the hadiths; Bahjat al-Majalis.

1. مقدّمة: إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُهُ سبحانهُ ونستغفرهُ ونستَهديهِ ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنّا من يهده الله فلا مُضل له ومن يضلل فلا هادي له وبعد:

لقد ازدهرت علوم الإسلام في بدايّة التّاريخ الإسلامي وانتشرت علومه في مشارق الأرض ومغاربها وانتشر معها علم الأدب العربي، ومن بين العلوم

المنتشرة علوم الحديث الذي غايته العمل بالتّعاليم النّبويّة على الوجه الصّحيح وكان علم الحديث من أهم العلوم التي اعتنت بالأدب والخطابة والوعظ والتّرغيب والتّرهيب، ومن أهم ما صُنّف في هذا المجال من المتقدّمين كتاب بهجة المجالس وأُنس المجالس للعلامة الأندلسي الحافظ ابن عبد البر وهنا تكمن أهميّة البحث، حيث تكمن طريقة ابن عبد البر في الاستدلال بالأحاديث النّبويّة في هذا الكتاب التي غفل عنها كثير من الأدباء والخطباء خاصّة في عصرنا وهي غامضة عندهم، وقد تميز المتقدمون بالحكمة وقوة العلم مثل الحافظ ابن عبد البر القرطبي الذي هو نجم المغرب وعلامة عصره قد بلغوا درجة الاجتهاد.

إشكاليّة البحث: ما مدى استدلال الإمام ابن عبد البر بالأحاديث النّبويّة في كتابه الأدبي بهجة المجالس؟

ما هو منهج ابن عبد البر في الاستدلال بالأحاديث النّبويّة من خلال كتابه بهجة المجالس؟

ما الفرق في استدلال الإمام ابن عبد البر بَين التّمهيد وبهجة المجالس؟

الدّراسات السّابقة: عند النّظر في الدّراسات السّابقة فأننا نجد أهمها:

1_ النّصوص الحديثيّة في التّراث الأدبي العربي كتاب ألف ليلة وليلة أنموذجاً دراسة وتخريج لحيدر التّميمي.

2_ الأحاديث المرفوعة في كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر حمزة ابن محمد ابن علي الغيلي.

3_ مقال بعنوان المنهج الاستدلالي للحافظ بن عبد البر واختياراته الفقهيّة وكيفيّة الاستفادة منها في النّوازل–نماذج مختارة–للباحث عماد بن عامر.

أهداف البحث:

1_ ترغيب الأدباء والوعاظ والخطباء خاصّة والنّاس عامّة في كتاب بهجة المجالس للإمام ابن عبد البر.

2_ دراسة دور الأحاديث النّبويّة في خدمة الحديث النّبوي.

3_ توضيح طريقة المتقدمين في الاستدلال بالأحاديث النّبويّة في الأدب والإرشاد.

4_ إبراز طريقة العلماء في الاستدلال بالأحاديث النّبويّة بين الكتب العلميّة والكتب الأدبيّة الوعظيّة.

منهجيّة البحث: اتبعت في هذه الدّراسة على المنهج الوصفي التّحليلي وكانت الخطة مقسمة إلى ثلاثة مباحث حيث المبحث الأوّل مقسم إلى مطلبين سيرة مختصرة عن ابن عبد البر وكتابه بهجة المجالس ثم المبحث الثّاني مقسم إلى مطلبين، المطلب الأوّل منهجه في الكتاب والثّاني منهجه في الاستدلال بالأحاديث النّبويّة. أمّا المبحث الثّالث مقسم إلى ثلاثة مطالب ذكرت فيها درجة الأحاديث التي اعتمدها ابن عبد البر في كتابه، والثّاني مسلكه في اختيار وذكر الحديث النّبوي أمّا الثّالث فدراسة تطبيقيّة مقارنة بين حديث اللهم لا مانع لما أعطيت وحديثين آخرين في التّمهيد وبهجة المجالس.

2. المبحث الأوّل: تعريف مختصر ببن ابن عبد البر وكتابه بهجة المجالس.

المطلب الأوّل: سيرة مختصرة عن ابن عبد البر: تمهيد: إنّ قيمة الكتاب من قيمة مؤلّفه، ولا يمكن الكلام على كتاب بهجة المجالس دون ذكر أنّ مؤلّفه هو نجم المغرب وعلامة زمانه الحافظ الفقيه أبو عمر يوسف ابن عبد البر وهو أشهر من نار على علم، لذالك جاءت سيرته مختصرة جدا في هذه الدّراسة.

2 .1.1.اسمه ونسبه: هو أبو عمر يوسف ابن عبد الله ابن محمد ابن عبد البر ابن عاصم النّمري القرطبي.[1]

2 .1 .2 . طلبه للعلم ونشأته: كان ابن عبد البر دءوبا في طلب العلم وقد أوتي فيه ملكة وبراعة وقوة فطنة، حيث بدأ طلب العلم في قرطبة وبها ترعرع ونشأت عنده أساسيات العلم وفي ذلك يقول أبو علي الجياني الغساني:

«وأبو عمر شيخنا رحمه الله من المثمرين قاسط في ربيعة من أهل قرطبة بها طلب وتفقه[2].

فبيّن العلامة الجياني أنّه كان من المثمرين الموفقين ومن أسباب ذالك ما أعطاه الله من الملكة والبراعة وما وفقه من النّشأة العلميّة السّليمة والهمّة القويّة.

2 .1. 5 . أهم مؤلّفاته:

1_الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمّنه الموطأ من معاني الرّأي والآثار.

2_ التّمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد.

3_ الاستيعاب في معرفة الأصحاب.

4_ بهجة المجالس وأنس المجالس.

5_ جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله.

6-الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى.

2 .1. 6. وَفاتهُ: وتوفي الحافظ أبو عمر يوم في شهر ربيع الآخر سنة 436 هـ بمدينة شاطبة[3].

2 .2 . المطلب الثّاني: التّعريف بكتابه بهجة المجالس.

2 .2 .1.اسم الكتاب وموضوعه وسبب تأليفه:

أوّلا: اسم الكتاب: اسم الكتاب هو "بهجة المجالس وأنس المجالس" كما ذكره مؤلّفه رحمه الله حيث قال في التّمهيد حيث قال (كِتَابِنَا كِتَابِ بَهْجَةِ المجالس وَأُنْسِ المجالس) [4]وهو الذي يذكره بِه أكثر العلماء منهم محمد بن خلف القيرواني في تعريف العلماء المالكيّة، [5]وهو الاسم المشهور الغالب وكثير الذّكر غير أنّ هناك بعض العلماء يسميه بأسماء أخرى منها:

1-بهجة المجالس وأنس المجالس بما يجري في المذكرات من غرر الأبيات ونوادر الحكايات"ابن حزم الأندلسي[6]وأحمد بن يحي الضّبي وغيرهم.[7]

وما وجد في بعض مخطوطات الكتاب وأكده المحققون كالدّكتور عبد الخالق ماضي ومحمد مرسي الخولي بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذّاهن والهاجس.[8]

التّعريف بمعاني الكتاب: ومعنى بهجة يشمل الحسن والفرحة والسّرور كما قال أبو بكر الأزدي وَأمر بهيج حسن[9]، فكتابه حقيقة يبعث على القارئ السّرور والابتهاج يعرف ذلك كل من قرأ الكتاب فهو اسم على مسمى، وأنس حيث يشعر القارئ بالأنس في المجلس، لما تضمنه من الحكم والفكاهة التي تصلح النّفس وترفه عنها.

ثانيا: موضوع الكتاب: إنّ موضوع الكتاب كما صنفه العلماء هو الأدب والأخلاق والتّرغيب والتّرهيب ثم إنّ القارئ لكتاب بهجة المجالس يجد أن موضوعه تكلّم على كثير من المواضيع والعلوم نلخصها في النّقاط التّاليّة:

1-علم أدب المجالسة والمخالطّة.

2-علم الكبائر وذمّها والتّحذير منها.

3-علم آداب الفكاهة والمزاح.

4-علم آداب المروءة والشّرف.

5-علم آداب المواعظ.

6-حكم وأشعار العرب المشهورة.

وقد كان في كل هذه المواضيع يستعمل الأحاديث النّبويّة، فهو ضمنيا شمل علم الاستدلال بالأحاديث النّبويّة.

ثالثًا: سبب تأليف الكتاب: ألّف الإمام ابن عبد البر هذا الكتاب ليكون مؤنسًا وزينة ومرجعا وتسليّة للعلماء وطلبة العلم والوعاظ بل وعوام النّاس كما ذكر في مقدّمة الكتاب حيث قال:(ليكون لمن حفظه ووعاه، وأتقنه وأحصاه زيناً في مجالسّه، وأنساً لمجالسّه، وشحذاً لذهنه وهاجسه).[10]

بل إن كتاب بهجة المجالس تجاوز سبب تأليفه إلى العديد من العلوم والفوائد العلميّة من علوم الأشعار وعلوم البلاغة والأدب وكذلك فيها ضبط وعزو الحكم والآثار، ويرجع ذلك إلى ما اشتهرت به الأندلس من الأدب والحضارة والذّوق الرّفيع الذي يدعو العلماء أن يؤلّفوا مثل هذه المواضيع.

ثالثاً: ثناء العلماء على الكتاب: كتاب ابن عبد البر من نوادر المؤلّفات الوعظيّة الإخباريّة، أفرغ فيه ابن عبد البر القرطبي خلاصة علمه وحفظه في مجال الوعظ والأدب ولذلك أثنى عليه جمع من العلماء خصوصًا على بساطته وسهولته مع وجود الثّقة في مؤلّفه.

قال أبو العباس شمس الدّين بن خلكان في كتابه وفيات الأعيان وهو يتكلّم عن مؤلّفات ابن عبد البر :(وصنف كتاب "بهجة المجالس وأنس المجالس" في ثلاثة أسفار، جمع فيه أشياء مستحسنة تصلح للمذاكرة والمحاضرة)[11].

بل إنّ ابن خلكان بالغ في الثّناء على كتابه وأطال، حيث قال د. محمد بازمول: "فإنّه ترجم لابن عبد البرّ ترجمة تميّزت بالإطالة في وصف كتاب واحد من كتبه...هو: كتاب "بهجة المجالس وأنس المجالس".[12]

وقد وصف ابن حزم كتب ابن عبد البر بأنّها لا مثل لها وخص كتاب بهجة المجالس بالذّكر فقال ابن حزم: "ولصاحبنا أبي عمر ابن عبد البر المذكور كتب لا مثل لها، منها كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس ممّا يجري في المذاكرات من غرر الأبيات ونوادر الحكايات".[13]

ونجد كثيرًا من العلماء يستدلون بكتابه، ويظهر ذلك عند عزو الاستدلال في مؤلفاتهم، ممّا يدل على أنّه ذو قيمة كبيرة وهو ثناء ضمني عليه، كما قال أبو الحسن علي بن بسام الشّنتريني بعد استشهاده ببيت لعبد الله ابن معاويّة، قال المحقّق انظر بهجة المجالس وعيون الأخبار.[14]

وقد استدل به ابن العربي في أكثر من عشرة مواضع في كتابه المسالك في شرح الموطأ[15].

ومن هذا كثير، ممّا يدل على أنّه ثناء ضمني عليه.

2.2 .2. نسبة الكتاب إلى المؤلّف: لا شك أنّ الكتاب هو لابن عبد البر وهذا ما أثبته المؤلّف في كتبه الأخرى من أمثال التّمهيد والاستذكار، وما اشتهر عند العلماء، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره ابن الخير الاشبيلي في فهرسته، حيث ذكر الكتاب بسنده إلى مؤلفه قال:" كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس لأبي عمر ابن عبد البر رحمه الله، حدثني به الشّيخ أبو بحر سفيان بن العاصي ألأسدي رحمه الله عن مؤلّفه أبي عمر ابن عبد البر سماعا عليه".[16]

وما ذكر هو في كتبه في قوله في الاستذكار:" وقد أفردنا للغيبة بابا كاملا أوردنا فيه ما جاء عن الحكماء والعلماء والشّعراء من النّظم والنّثر في كتابنا كتاب بهجة المجالس ".[17]

3. المبحث الثّاني: منهجه في كتابه وطريقة استدلاله بالأحاديث النّبويّة:

1.3 المطلب الأوّل: منهجه في الكتاب: تمهيد: يختلف منهج العلماء في الاستدلال بالأحاديث النّبويّة من حيث مكان استعمال الحديث ودرجة الحديث في القلة والكثرة، وكذلك يختلف حسب المقصود من التّأليف، وقد بينت هذه الدّراسة منهج ابن عبد البر في الاستدلال بالأحاديث النّبويّة ولا يكون ذلك إلاّ بذكر منهجه في الكتاب.

إنّ الملاحظ على منهج ابن عبد البر في كتابه بهجة المجالس كان على طريقة من تقدّم في التّصنيف على الأبواب بطريقة بسيطة لا تعقيد فيها، بما يعرف بالمنهج الوصفي حاليا، ثم بعد ذكر الأبواب يذكر أحاديث نبويّة إن وجدت ثم أقوال الحكماء من الشّعر أو النّثر، ويظهر أنّ الإمام في كتابه كان يقصد التّبسيط والتّسهيل وعدم الإطالة، وقد كان منهجه ممتعا للقارئ سهل المنال فاستحق بذلك اسم البهجة (بهجة المجالس)، ويمكن أن نذكر منهجه في عدة نقاط على النّحو التّالي:

1-رتب الكتاب على أبواب فذكر فيه 132 باباً في كل باب يتكلّم على موضوع خاص.

2-أكثر في كتابه من النّقل عن الرّسول والعلماء والحكماء ولم يذكر كلامه هو إلاّ قليلا.

3-لم يذكر في كتابه الآيات القرآنيّة، أعتقد ذلك راجع إلى حرصه على مقصده من التّأليف ولأنّ القرءان له أحكامه الخاصّة.

4-اتبع ابن عبد البر المنهج الانتقائي الوصفي، فحرص على جمع الأقوال والحكم الوجيزة البالغة ونسبتها إلى أصحابها وقسمها ورتبها ولم يتطرق إلى التّحليل والتّعمق إلاّ نادرا.

2.3. المطلب الثّاني: منهجه في الاستدلال بالأحاديث النّبويّة:

تمهيد: بعد استقراء أحاديث كتاب بهجة المجالس يتبين أنّ ابن عبد البر عمد في منهج استدلاله بالأحاديث على ثلاث نقاط مهمّة أوّلها ربط الحديث بالباب فيكونان متوافقين في المعنى، وثانيًا عدم حرصه على ذكر الإسناد فنجده قليلا ما يذكر الإسناد وأحيانا يتوقف عند الصّحابي وأحيانا يذكر الرّسول، ثالثا يميز في استدلاله أقوال الصّحابة والتّابعين ممّا اشتهر على الالسّن من الأحاديث المنسوبة إلى الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

وقد كانت بالتّفصيل على النّحو التّالي:

1-اعتمد على طريقة ربط الحديث بمعنى الباب فنجده يفتتح الباب منها بما صح من الأحاديث في الموضوع الذي سيتكلم عليه ويقدم الحديث على آثار الصّحابة والتّابعيين والحكماء العرب وشعرائهم، ليس على سبيل الدّوام فقد كان يذكر الحديث في الأخير أحيانا ويذكره وسطا أحيانا، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في أقواله التّالي:

باب قولهم في وصف العيش وما تتمنَّاه النّفس

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من أصبح منكم آمناً في سربه "[18].

ثم قال ما جاء عن عمر بن الخطاب: لما فتح الله على رسوله بني النّضير وغيرهما، كان يتخذ منها لنفسه وعياله قوت سنة، ثم يجعل الباقي في الكراع والسّلاح في سبيل الله[19].

وقال كان عمر بن الخطاب يعجبه قول عبده بن الطّبيب:

المرء ساعٍ لأمرٍ ليس يدركه *** والعيش شحٌ وإشفاقٌ وتأميل".[20]

فنلاحظ كيف أنّ الإمام ابن عبد البر قصد المعنى السّهل والواضح غالبًا في طريقة استدلاله، كما كان ترتيبه على ذكر قول الرّسول صلّى الله عليه وسلّم أوّلا ثم ذكر فعل الرّسول ثم قول عمر ابن الخطاب، وقد عالج ابن عبد البر أمرًا مهمًّا واقعا عند كل النّاس وهو حال النّاس في العيش بين الاقتصاد والتّأميل ممّا يبعث على القارئ التّشويق والبهجة عند معرفة الحكمة وكانت هذه طريقته في الاستدلال بالأحاديث من حيث المعنى.

2-يذكر سند الحديث ويخرجه أحيانا ويكتفي بذكر الصّحابي أحيانا وبذكر الرّسول أحيانا كما في الأمثلة التّاليّة:

مثال على ذكر الإسناد والتّخريج: قال ابن عبد البر: "وحدثنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن، قال حدثنا أبو بكر محمد بن داسة قال: حدّثنا أبو داود سليمان بن الأشعث، قال: حدثنا عبد الله بن مسلّمة القعنبي، قال: حدثنا عبد الرّحمن بن أبي المولى عن عبد الرّحمن بن أبي عمرة الأنصاري عن أبي سعيد الخدريّ، قال: سمعت رسول الله".[21]

مثال على البدء بذكر الصّحابي: يبدأ بذكر الصّحابي: "ومن حديث جابر عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: "المجالس بالأمانة إلاّ ثلاثة".[22]

مثال على البدء بذكر الرّسول: إنّ ابن عبد البر يبدأ بذكر الرّسول في الأحاديث المشهورة غالبا ولا يبدأ بالسّند أو بالصّحابي لأنّ الحديث المشهور لا حاجة فيه للسند وراوي الحديث مثال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من صمت نجا".[23]

3-يميز بين الحديث الضّعيف المنسوب إلى الرّسول عن آثار الصّحابة والتّابعيين، الضّعيف من الآثار مثال:

قال: وروى عن أبي بكر الصّديق رضي الله عنه، أو عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّه قال: الدّنيا دول، ليس إلى أحد دون الله.

ثم قال منبها أنّ هناك من اعتبره حديثا، وهذا حديث رواه الحسن البصري قال روى علي بن الحسين عن أبيه عن جده، رضي الله عنهم-قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم[24]، ثم قال ابن عبد البر مؤكدًا أنّه من قول أبي بكر أو علي".[25]

4. المبحث الثّالث: درجة الأحاديث التي اعتمدها ابن عبد البر في الكتاب ودراسة تطبيقيّة مقارنة بين حديثين في التّمهيد وفي بهجة المجالس ومسلكه في اختيار وذكر الحديث النّبوي.

1.4.المطلب الأوّل: درجة الأحاديث التي اعتمدها ابن عبد البر في الكتاب.

تمهيد: إنّ أحكم الحكمة وأفضلها موجودة في سنة نبيه صلّى الله عليه وسلّم، فالرّسول أحكم من عاش من البشر، وما كان هذا ليخفى على الإمام ابن عبد البر رحمه الله، فقد أكثر من ذكره في كتابه الوعظي الأدبي ولا يخفى على طالب العلم الاختلاف في مسألة الاستشهاد بالحديث الضّعيف في الأدب والتّرغيب والتّرهيب، وهنا نطرح السّؤال، هل عمل ابن عبد البر بما رجَّح العلماء في أنّ رأيه الاحتجاج به في الفضائل دون الأحكام من خلال كتابه بهجة المجالس؟

ومن خلال استقراء أحاديث بهجة المجالس من نجد أنّ الإمام ابن عبد البر ذكر الأحاديث الصّحيحة والضّعيفة ولم يختصّ بالصّحيح[26]، وقد يتوهم أنّه أكثر من ذكر الأحاديث الضّعيفة في هذا الكتاب على غير عادته في الكتب الأخرى من الحزم في درجة الحديث، وهذا وهم خاطئ بل إنّ أكثر أحاديث

الكتاب تدور بين الصّحيح والحسن ونادرا ما يذكر حديثًا ضعيفًا ولا يذكر الأحاديث شديدة الضّعف ولا التي تخالف القرءان، وفي كتاب بهجة المجالس يذكر فيه المؤلّف أمورًا ليست من فضائل الأعمال فقط بل من الكبائر غير أنّ عنوان الكتاب يدل على أنّه من باب الأدب والتّرغيب والتّرهيب، وقد قال في جامع بيان العلم وفضله أحاديث الفضائل تسامح العلماء قديما في روايتهما عن كل، ولم ينتقدوا فيها كانتقادهم في أحاديث الأحكام"[27]، ممّا يدل على أنّه يتساهل في درجة الأحاديث التي ذكرها في كتابه الأدبي بهجة المجالس وهذا ما وجدناه من خلال الاستقراء وهذه أمثلة على أحاديث ذكرها في الاتي:

1-حديث ما عال من اقتصد:

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "ما عال من اقتصد".[28]

2-الرّفق يمن والخرق شؤم.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "الرّفق يمن، والخرق شؤم".[29]

3-حديث لا هم إلاّ هم الدّين ولا وجع إلاّ وجع العين.

كان يقال: لا همّ إلاّهمّ الدّين، ولا وجع إلاّ وجع العين. وقد روى هذا القول عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم من وجه ضعيف[30].

وإنّ الملاحظ على الأحاديث الضّعيفة التي استدل بها ابن عبد البر تدور على النّحو التّالي:

أوّلا: أنّها تأتي روايتها بصيغة روي أي بصيغة التّمريض؛

ثانيًا: مكان ذكرها في الباب يأتي بعد ذكر الأحاديث الصّحيحة في الفصل من كل باب، وإذا جاءت بهذه الطّريقة علامة ودلالة على عدم لزوم صحّة الحديث؛

ثالثًا: أنّ معناها صحيح ويوافق مقصدا من المقاصد الشّرعيّة.

4 .2. المطلب الثّاني: مسلكه في اختيار وذكر الحديث النّبوي: إنّ الملاحظ أنّ الأحاديث التي ذكرها ابن عبد البر قد اختارها من الجوامع في

التّرغيب والتّرهيب، كما كان ذكر الإمام ابن عبد البر للأحاديث في هذا الكتاب غير جازم من حيث درجة الحديث مقارنة بكتاب التّمهيد والاستذكار، وذلك لأنّه لا يركّز على السّند أو يذكر العلل أو مرتبة الرّجال، وإنّما يأتي براوي الحديث وسياقه أحيانا وقد يأتي بمتن الحديث فقط على النّحو التّالي:

-قال رسول الله في 143 موضع؛

-عنه صلّى الله عليه وسلّم 4 في موضع؛

-قال رجل لرسول الله 8 في موضع؛

-قال صلّى الله عليه وسلّم 21 في موضع؛

-قال عليه السّلام 28 في موضع؛

-عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم 39 في موضع؛

-قال رجل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم 7 في مواضع؛

-روي عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم 15 في موضع؛

ممّا يدل على أن الإمام ابن عبد البر لا يركز على إسناد الحديث عملا بقول بعض المحدثين من أسند لك فقد أحالك، بل إنّه أكثر من ذكر أحاديث بلا سند في هذا الكتاب، فهو ممن يرى أنّ صحّة الحديث لازمة فقط في العقائد والأحكام والحدود دون الفضائل كما سبق في قوله.

3.4. المطلب الثّالث: دراسة تطبيقيّة مقارنة بين أحاديث اشترك فيها الكتابان التّمهيد وبهجة المجالس:

تمهيد: لقد قام هذا المبحث على دراسة تطبيقيّة بمقارنة ما جاء في طريقة استدلال ابن عبد البر بين كتابيه التّمهيد وبهجة المجالس، إذ أنّ الهدف هو إظهار هل الإمام ابن عبد البر فرّق في منهج الاستدلال بين التّمهيد وبهجة المجالس، وقد كانت الدّراسة لخمسة أحاديث حتى نستطيع اثبات الفرق من خلال المقارنة إذ لا يثبت بمثال أو ثلاثة كما يؤكّده الأساتذة الباحثون، أمّا

الحديث الأوّل فهو ما جاء بلفظ لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت والثّاني حديث لا تبدؤوهم بالسّلام.

والثّالث والرّابع والخامس.

مثال 1: حديث لا مانع لما أعطيت[31].

قال الإمام بن عبد البر رحمه الله في كتابه بهجة المجالس:

باب الجد والجد.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "لا مانع لما أعطى الله، ولا معطي لما منع، ولا ينفع ذا الجدِّ منه الجدّ".[32]

نلاحظ أنّ الإمام ابن عبد البر ذكر هذا الحديث في أوّل الباب ولم يذكر سند الحديث، كما أنّه لم يذكر طرقه وشواهده ولا درجته ولا تخريجه ولم يتناول المتن بالشّرح والتّوضيح بخلاف ما فعله في كتابه التّمهيد.

مثال: قال رحمه الله في التّمهيد.[33]

ونلاحظ كيف أنّ الإمام ابن عبد البر فصّل في كتابه التّمهيد حيث بدأ بذكر درجة الحديث ثم بدأ في إثباتها بذكر الاتصال والانقطاع وتراجم الرّجال وهذا لم يكن في كتابه بهجة المجالس.

من خلال المثالين يتضح الفرق الكبير بين منهج العلامة في تأليف كتب الأدب والوعظ وطريقته في كتبه العلميّة من الضّبط والتّحقيق مثل التّمهيد والاستذكار.

مثال 2: حديث لا تبدؤوهم بالسّلام[34].

قال في بهجة المجالس في باب مؤاخاة من ليس على دينك: "وأمّا ما روي عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم، أنّه قال في أهل الذّمة: "لا تبدؤوهم بالسّلام وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه.[35]

نلاحظ على أحاديث كتاب بهجة المجالس أنّ الإمام ابن عبد البر ذكر هذا الحديث المتعلّق بالأحكام رغم أنّه كتاب أدب غالبا، كما يوجد غياب ذكر

الإسناد وأنّ صيغة روايته جاءت بصيغة التّعريض رغم أنّ ابن عبد البر ذكر هذا الحديث في كتاب التّمهيد بصيغة "روى" وأنّ ابن عبد البر ذكر شيء من فقه الحديث وهذا نادر في هذا الكتاب.

وعند الرّجوع إلى كتاب التّمهيد[36] نجد أنّ ابن عبد البر ذكر إسناد الحديث ورواته، كما ذكر تراجم الرّواة والشّواهد والمتابعات والحكم على الحديث وفقه الحديث بتفصيل لا يذكره في بهجة المجالس، ممّا يجعله حجة للذي لا يفصل ويتعمّق في علوم الإسناد والمتن عند الكلام عن الأدب والوعظ فإنّ ابن عبد البر الحافظ كان هذا مسلكه رحمه الله.

مثال 3: حديث احرص على ما ينفعك.

قال في التّمهيد: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن أسد.. احرص على ما ينفعك ولا تعجز[37].

قال في بهجة المجالس: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "احرص على ما ينفعك ولا تعجز، فإن غلبك أمر فقل: قدر الله وما شاء فعل، وإياك واللّوم فإنّ اللّوم تفتح عمل الشّيطان"[38].

مثال 4: حديث سؤال النّاس.

قال في التّمهيد: وأخبرنا محمد بن إبراهيم.. وإن كنت سائلا لا بد فاسأل الصّالحين.. قال لا تسألوا النّاس شيئا قال فلقد كان بعض أولئك النّفر يسقط سوطه فما يسأل أحدا يناوله إياه[39].

قال في بهجة المجالس: قال ثوبان: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: "لا تسألوا النّاس" قال: فما سالتّ أحداً شيئاً بعدها، فكان سوطه يسقط من يده، فما يسأل أحداً أن يناوله إياه[40].

مثال 5: قال في التّمهيد: عن سمي مولى أبي بكر عن أبي صالح عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال السّفر قطعة من العذاب.. السّفر

قطعة من العذاب الحديث مرسلا... والحديث مسند صحيح ثابت احتاج النّاس فيه إلى مالك وليس له غير هذا الإسناد من وجه الصّحيح[41].

قال في بهجة المجالس: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "السّفر قطعةٌ من العذاب، فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجِّل الرّجوع إلى أهله".

وزاد بعضهم في هذا الحديث "السّفر قطعة من العذاب، فاقطعوه بالدّلجة"[42].

إنّ هذه الأمثلة توضح فروقا في تصنيف ابن عبد البر بين التّمهيد وبهجة المجالس يمكن ذكرها في النّقاط الآتيّة:

1- يذكر سند الحديث في التّمهيد ولا يذكره في بهجة المجالس.

2- يذكر علل السّند في التّمهيد ولا يذكرها في بهجة المجالس.

3-يحكم على الحديث في التّمهيد ونادرا ما يذكر حكمه في بهجة المجالس.

4-يذكر ألفاظ الحديث في المتن كاملا في التّمهيد ولا يقتطعها في بهجة المجالس.

5. الخاتمة: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، قد تشرّفت بهذه الدّراسة كما ظهر فيها من الفوائد ما لم يكن في الحسبان ووجدت ممّا سبق أنّ أهم نتائج الدّراسة على النّحو التّالي:

أ-إكثار ابن عبد البر من الاستدلال بالأحاديث النّبويّة في كتابه بهجة المجالس.

ب-استدلال ابن عبد البر ببعض الأحاديث الضّعيفة في كتابه بهجة المجالس.

ج-ابن عبد البر من المتقدّمين من كانوا يتساهلون في درجة الأحاديث عند الكلام في أدب التّرغيب والتّرهيب.

د-ابن عبد البر من العلماء الذين يفرقون في منهج تصنيف كتبهم باعتبار مقصد تأليف الكتاب والمخاطب به.

هـ–بوسع من اشتغل بالأدب والتّرغيب والتّرهيب أن لا يتكلف صحّة الأحاديث ويذكر الأحاديث الضّعيفة إذا لم تكن شديدة الضّعف وله في ذلك سلف.

و–عمل الإمام ابن عبد البر بما قال من التّساهل في الرّوايّة في الوعظ والأدب في كتابه بهجة المجالس.

ز–الاستدلال بالأحاديث في كتاب بهجة المجالس يختلف عن كتاب التّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد من حيث الدّرجة والتّحليل.

ح–الأحاديث النّبويّة مصدر للأنس والابتهاج في المجالس وهذا ما أكده ابن عبد البر من كثرة استدلاله بالأحاديث النّبويّة في كتابه.

ط–دراسة الأسانيد والتّفصيل فيها في الكتب الأدبيّة والتّرغيب والتّرهيب، قد لا يخدم مقصود التّأليف ويشعر بالملل ثم النّفور، وهذا ما وافق طريقة استدلال ابن عبد البر في كتابه بهجة المجالس.

6-قائمة المراجع:

[1]خلف بن عبد الملك ابن بشكوال (المتوفى: 578 هـ)، الصّلة في تاريخ أئمة الأندلس 66/1.

[2]شمس الدّين الذّهبي (ت 372هـ)، تذكرة الحفاظ 218/3.

[3] أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، ت: إحسان عباس، دن: دار صادر – بيروت، الطّبعة: 1، 1994، ع ج: 7 71/1 .

[4]يوسف ابن عبد البر القرطبي (المتوفى: 463هـ)، الاستذكار 564/8.

[5]خلف بن أبي القاسم القيرواني المالكي (ت 372هـ)، التّهذيب في اختصار المدونة، 3/1.

[6] ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، 180/2.

[7] أحمد أبو جعفر الضّبي (المتوفى: 599هـ)، بغيّة الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس 490/1.

[8]محمد الهروي النّحوي (ت 433 هـ)، إسفار الفصيح، 1108/2.

[9] قال وأبهجني الْأَمر إذا أفرحني. وبهجني: فرحني أنظر ما قال أبو بكر محمد بن دريد الأزدي (ت 321هـ)، جمهرة اللّغة، ت: رمزي منير بعلبكي، د ن: دار العلم للملايين – بيروت، ط: الأولى، 1987م، ع ج:3 272/1.

[10] يوسف ابن عبد البر القرطبي (المتوفى: 463هـ)، بهجة المجالس وأنس المجالس 36/1.

[11] شمس الدّين ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، 67/7.

[12] محمد بن عمر بن سالم بازمول، الأجوبة عن المسائل المستغربة من كتاب البخاري ص33.

[13] أبو محمد علي بن حزم الأندلسي القرطبي الظّاهري (ت 456هـ)، رسائل ابن حزم الأندلسي، 180/1.

[14] أبو الحسن علي بن بسام الشّنتريني (ت 542هـ)، الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ت: إحسان عباس، د ن: الدّار العربيّة للكتاب، ليبيا – تونس، ع ج: ٨، 945/2.

[15] أنظر كتاب المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت 543هـ)، دَار الغَرب الإسلامي، ط: الأولى، 1428 هـ - 2007 م، ص 93/3، 6/3،7/587/253،467.

[16]أبو بكر محمد الأموي الاشبيلي (ت 575هـ)، 294 فهرسة ابن خير الاشبيلي، /824.

[17] الاستذكار 546/8.

[18] أخرجه التِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَه من حَدِيث عبيد الله بن مُحصن دون قَوْله «بحذافيرها» قَالَ التِّرْمِذِيّ حسن غَرِيب وصححه الألباني.

[19] رواه البخاري (2904)، ومسلّم 3/ 1376 -1377، وأبو داود (2965)، والنّسائي 7/ 132، والتّرمذي (1719)، وأحمد 1/ 48 والحميدي (22)، والطّحاوي 2/ 6، والبيهقي 6/ 296.

[20] بهجة المجالس.

[21] بهجة المجالس ص2.

[22] أخرجه أَبُو بكر بن لال فِي مَكَارِم الْأَخْلَاق من حَدِيث ابْن مَسْعُود بِإِسْنَاد ضَعِيف وَرَوَاهُ ابْن الْمُبَارك فِي الزّهْد من رِوَايَة أبي بكر بن حزم مُرْسلا وَالْحَاكِم وَصَححهُ من حَدِيث ابْن عَبَّاس.

[23] بهجة المجالس ص 20، وأخرجه التِّرْمِذِيّ من حَدِيث عبد الله بن عَمْرو بِسَنَد فِيهِ ضعف وَقَالَ غَرِيب وَهُوَ عِنْد الطَّبَرَانِيّ بِسَنَد جيد وأخرجه أحمد وآخرون عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص به مرفوعا، ومداره على ابن لهيعة رواه عن يزيد بن عمرو عن أبي عبد الرّحمن الحبلي عنه، ولكن شواهده كثيرة.

[24] أنظر أدب الدّنيا والدّين دار النّشر دار مكتبة الحياة ص 228.

[25]بهجة المجالس 2: 291، 292.

[26]اعتمدت في الاستقراء على ما ثبت من إخراج الأحاديث وبحكم العلماء على الأحاديث من أمثال الدّار قطني والذّهبي والألباني وابن عبد البر نفسه.

[27]يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ)، جامع بيان العلم وفضله ،201/1.

[28] بهجة المجالس باب السّفر والاغتراب ص44 والحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه والأصبهاني والطّبراني في الكبير والبيهقي في الشّعب.

[29] أخرجه البيهقي والأصبهاني.

[30] أخرجه الطّبراني في الأوسط وهو ضعيف.

[31] رواه مسلّم 1/ 347 وأبو داود (847) والنّسائي 2/ 198 –199 وابن خزيمة 1/ 310 والبيهقي 2/ 94 كلهم من طريق سعيد بن عبد العزيز عن عطيّة بن قيس عن قزعة عن أبي سعيد الخدري.

[32]يوسف بن عبد البر القرطبي (ت 463هـ)، بهجة المجالس وأنس المجالس، 36/1.

[33] أنظر التّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول اللّه –صلّى اللّه عليه وسلّم–، أبو عمر بن عبد البر النّمري القرطبي (368 –363 هـ)، ت: بشار عواد معروف، وآخرون، د ن: مؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي – لندن، ط: الأولى، 1439 هـ – 2017 م، 17، 452/14.

[34] أخرجه مسلّم والبخاري في "الأدب المفرد" وأحمد وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعا وهو مخرج في " إرواء الغليل " (1271).

[35]أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النّمري القرطبي (ت 463هـ)، بهجة المجالس وأنس المجالس، 1/ 195.

[36]أنظر ما جاء عن أبو عمر يوسف القرطبي (ت 463هـ) في التّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، 17/ 89 من حديث أبي هريرة.

[37] التّمهيد 287/9 أخرجه البخاري في الصّحيح رقم 309.

[38] بهجة المجالس ص30.

[39] التّمهيد 324/18 أخرجه البخاري (7295)، ومسلّم (2359).

[40] بهجة المجالس ص39.

[41] التّمهيد 33/22 أخرجه البخاري (1804)، ومسلّم (1927).

[42] بهجة المجالس 45.